

## الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ -.

المتن

### فَصْلٌ: فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَنَامِ

الشرح

قال المصنف -رحمه الله-: فَصْلٌ فِيمَا يُقَالُ عِنْدَ الْمَنَامِ، أي: عندما يقوله المسلم إذا أوى إلى فراشه لينام، وقد جاء في السنة أنواعٌ عديدةٌ من الدعواتِ والأذكارِ التي يشرع للمسلم أن يقولها إذا أوى إلى فراشه لينام، وفي حفظها والمحافظة عليها والعناية بها تحققٌ للخير والبركة للنائم، وفيها السلامة والوقاية من الشرور والمهلكات، فهي حرزٌ للعبد وحفظ له وبركة له في نومه، فيَنَامُ مطمئنًا قريح العين هادئ البال، تزول وتذهب عنه المقلقات والمكدرات، ونحو ذلك مما قد يؤدي أو يقلق أو يضر بالنائم في منامه. والسنة خيرٌ وبركة، وتوجيهات النبي -عليه الصلاة والسلام- المباركة هي مع المسلم في كل أحواله، كما أنها معك في قيامك وقعودك وغُذُوك ورواحك فهي أيضًا معك في منامك، فتنام على السنة وعلى هدي النبي الكريم -صلوات الله وسلامه عليه-. وهُنَا، ونحن بين يدي هذا الباب المبارك والفصل العظيم فيما يقال عندما يأوي المسلم إلى منامه، ينبغي أن نستشعر أن النوم منةٌ عظيمةٌ من منن الله على عباده، وآية عظيمةٌ من آيات الله الدالة على كمال قدرته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وكمال تدبيره، كما قال ربنا -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، فالنوم آية عظيمةٌ من آيات الله، وَهِيَ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ مَنَّةٌ مِنْ مَنْنِهِ عَلَى عِبَادِهِ، قَدَّرَ لِعِبَادِهِ النَّوْمَ وَهِيَ لَهُمْ هَذَا السَّكُونُ، ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، فأنعم عليهم بهذا النوم الذي هو راحة أبدانهم، وزوال عنائهم، وطمأنينة نفوسهم، وتحديد نشاطهم، إلى غير ذلك من المصالح العظام والخيرات الكثيرة المترتبة على المنام؛ فهو نعمة، وفي الوقت نفسه هو آية على كمال قدرة الله -عزَّ وجلَّ-، وأنه الرب العظيم الخالق المدبر الذي بيده أزمّة الأمور، وفيه دلالة على ضعف الإنسان وافتقاره واحتياجه، وأنه ينصب ويتعب ويحتاج إلى الراحة ويحتاج إلى السكون، وفيه آيةٌ على كمال الرب ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وَاللَّهُ -عزَّ وجلَّ- الحي الذي له الحياة الكاملة التي لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، والإنسان حيٌّ لكن حياته يعتريها النقص، ومن نقص الإنسان ضعفه وتعبه ووهنه وحاجته إلى النوم، وهذا فيه برهان على أن المستحق للعبادة هو الحي الذي لا يموت الذي لا تأخذه سنّةٌ ولا نوم برهان واضح، وَمَعَ ذَلِكَ تُصَرَّفُ الْعِبَادَةُ مِنْ أَقْوَامٍ وَأَقْوَامٍ إِلَى أَمْوَاتٍ لَيْسُوا بِأَحْيَاءٍ وَإِلَى جَمَادَاتٍ لَا حَيَاةَ لَهَا أَصْلًا، وَإِلَى أَمْوَاتٍ أَوْ إِلَى أَحْيَاءٍ يَمُوتُونَ، وَهَذَا كُلُّهُ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ؛ فَالْعِبَادَةُ حَقٌّ لِلْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ الَّذِي لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ. ولهذا -أيها الأخوة- عندما نقرأ أذكار النوم الآتية معنا نجد أنها كلها تربطنا بالتوحيد، تربطنا بالإيمان، تربطنا بالذل والخضوع لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- الحي القيوم؛ فيتذكر الإنسان عظمة الله، وقدرته على العبد، وتصرفه فيه، وتدبيره لأمره، وأن حياته بيد الله وموته

بيد الله، وأن أموره كلها بيده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يتذكر نعم الله عليه ومننه وآلاءه، كل ذلك يأتي معك في أذكار النوم الثابتة عن النبي الكريم -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ولهذا ينبغي على المسلم أن يكون لأذكار النوم حظًا من حياته، وأن يحفظها وأن يحافظ عليها في كل مرة أن يَنَامَ فيها، مع استشعارٍ لمعاني تلك الأذكار وتأمل في دلالاتها لتكون نومته على التوحيد وعلى السُّنَّة، فيحصل له في نومه الخير والبركة، إن قُبِضت روحه تقبض على خير وإن كُتبت له حياة كُتبت له حياة على حفظٍ وصلاح، كما سيأتي معنا في الأحاديث الواردة في هذا الباب.

نعم -أيها الأخوة- لا يليق بالمسلم أن يأتي إلى فراشه ويَنَام مثل نومة بهيمة الأنعام، يرمي نفسه ويُغمض عينيه لا يذكر الله، ولا يثني على الله، ولا يدعو الله، ولا يناجي الله، وإنما يُلقِي نفسه على فراشه وينام، وبعض الناس -والعياذ بالله- يَنَام على المعصية، يَنَام على معصية الله، يفتح المسجل أو المذياع على الأغاني، أو على الموسيقى، أو على نحو ذلك من الأمور، ويستمتع إليها حتى ينام فيَنَام على معصية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ولا يَنَام على ذكره، وهذا من رقة الدين وضعف الإيمان، وليس هذا هو شأن المؤمن، المؤمن عندما أنعم الله عليه بنعمة النوم الذي هو راحة لبدنه، وسكون له وطمأنينة، يأوي إلى فراشه حامدًا شاکرًا ذاکرًا داعيًا ملتجئًا إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، مستعيدًا به هذا شأنه، يَنَام على ذكر الله، ويقوم من نومه على ذكر الله، بذكر الله يَنَام وبذكره يقوم، فهو ذاکرٌ لله في نومته وفي قومته وفي كل أحواله، ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦].

أما أن يكون شأن الإنسان يأتي منهكًا ومتعبًا، ثم يَنَام ولا يذكر الله، أو يَنَام وهو منشغلٌ بهموم دنياه وبمصالح دنياه؛ فيَنَام غافلًا، منشغلًا بالدنيا غافلًا عن ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، مع أن ذكره لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- هو الفرج، هو اليسر، هو أساس السعادة في نومته وفي قومته، ولكن كثير من الناس يحرم نفسه من الخير.

أذكار النوم أذكار مباركة، جاءت في سنة النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، في حفظ المسلم لها ومحافظته عليها خير له وبركة في نومته، وأيضًا ما يترتب أو ما يعقب النوم من قَوْمَةٍ، كل ذلك يترتب عليه خيرات عظيمة، وإذا كنت لا تحفظ أذكار النوم فلا بأس أن يكون مَعَكَ كتيب أو أوراق فيها الأذكار تقرأها قراءً؛ إلى أن تحفظها في اليوم الأول والثاني والثالث تستمر على هذه الطريقة إلى أن تحفظها فتستغني عن الورقة التي بيدك، وإيَّاك أن تنام غافلًا عن ذكر الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

#### المتن

**قَالَ حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ». متفقٌ عليه.**

#### الشرح

هذا الحديث، حديث حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في بيان حال النبي ﷺ إذا أراد أن يَنَام وإذا استيقظ من منامه -صلوات الله وسلامه عليه-، فكان إذا أراد أن يَنَام قال: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتْ وَأَحْيَا»، وإذا استيقظ قام حامدًا لله، قائلًا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

وهذا الذكر الذي يُقال عند النوم وعند القَوْمَةِ منه، ذكر فيه استسلام العبد لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وتفويضه أمره إليه، والتجاءه الكامل إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحده طالبًا عونَه سبحانه وتوفيقه، فهو يَنَام مستعينًا بالله، ويقوم حامدًا لله على تيسيره وعونه

وتوفيقه، وهو في ذلك كله مستشعرٌ أن نومته وقومته وحياته وموته وجميع أحواله وتصرفاته بيد الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، له نفسه لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- نفس العبد إن شاء أحيها وإن شاء أماتها، فالأمر له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولهذا يأوي إلى فراشه قائلاً: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، «بِاسْمِكَ» الباء باء الاستعانة، أي: باسمك استعين يا الله، أطلب العون، أنام طالباً عونك، ملتجئاً إليك، مفتقراً إليك، فقيراً إليك، لا حول لي ولا قوة إلا بك، «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، وأراد بالموت هنا النوم، وأراد بالحياة القُوْمَةُ منه. والحديث يدل على أن النوم موت، يسمى موتاً لأنه شبيه بالموت، والإنسان في منامه مثله مثل الميت لا يشعر، ولو تحدثت معه لا يشعر بك، ولو تحركت من حوله لا يشعر، فهو من هذه الجهة شبيهة بالميت وشبيهة بالموت، ولهذا جاء تسميته في نصوص القرآن والسنة موتاً، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فالنوم وفاة وفاة صغرى أو موتة صغرى، والقُوْمَةُ منه حياة، ولهذا قال هنا في القومة من النوم، قال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا»، «أَحْيَانَا» أي: بهذه القُوْمَةُ من النوم، «بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا» أي: بهذه النَوْمَةُ، فالنومة موتة، والقُوْمَةُ منه حياة. وإذا كان شأن النوم كذلك؛ فإن النومة من أعظم المذكرات للعبد بالموت، الموت الذي يُفارق به العبد هذه الحياة الحياة الدنيا، فالنومة تذكرك يومياً الموتة التي تنتقل بها من هذه الحياة، ولما كان شأن النوم أنه مذكّر بالموت، تجد أن كثيراً من الدعوات -وسياقي معنا شيء منها-، تجد أن كثيراً منها يرتبط الذكر الذي يُقال عند النوم بهذا المعنى الذي هو أن النوم موت، شبيه بالموت.

فَعَلَى سبِيلِ الْمَثَالِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَانَ يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ لَيْلًا: «اللَّهُمَّ فِئِي عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» لِأَنَّ النُّومَ يَذْكُرُ بِالْبَعْثِ، يَذْكُرُ بِالْمَوْتِ وَالْبَعْثِ وَالْأُمُورَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَلِهَذَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ فِئِي عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»، وأيضاً يقول كما سيأتي: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَضَعْتَ جَنِّي وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي نَوْمِهِ الَّتِي يَنَامُهَا لَا يَخْرُجُ عَنْ حَالَتَيْنِ:

- إِمَّا أَنْ يَنَامَ وَيَقُومَ.
  - أَوْ يَنَامَ وَتَكُونُ هِيَ النُّومَةُ الَّتِي لَا قُوْمَةَ مِنْهَا إِلَّا يَوْمَ الْبَعْثِ.
- وكم من إنسان حصل له هذا، نَامَ وَكَانَ يُؤْمِنُ أَعْمَالًا وَمَصَالِحَ يَقُومُ بِهَا فِي الصَّبَاحِ فَكَانَتْ نَوْمَتُهُ هِيَ النُّومَةُ الَّتِي لَا قُوْمَةَ مِنْهَا إِلَّا لِبَعْثِ، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١] ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿[عبس: ٢٢]﴾، فالنوم يذكّر بالموت، ولهذا قال هنا: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا»، لم يقل: أحيأ وأموت، قدم الموت؛ لأنه هو الذي صائرٌ إليه الآن الذي هو النوم، فقدّمه لأنه صائرٌ إليه أولاً، هو الآن حي وسينام، والنوم موتة فقال: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا» أي: أحيأ بعد هذا الموت بالاستيقاظ الذي هو منة من منن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- العظيمة على عبده، وفي اليقظة من النوم، يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، يَقُومُ حَامِدًا لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى هَذِهِ الْفُسْحَةِ فِي الْأَجْلِ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا، فَلَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ فِي مَنَامِهِ، بَلْ أَعْطَاهُ فَسْحَةً، فَيُحْمَدُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى هَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا التَّيْسِيرِ، قَائِلًا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا» يعني: الذي كتب لنا هذه الحياة، «بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا» أي: بعد هذه النومة التي هي ممات، فينَامُ ذَاكِرًا وَيَقُومُ حَامِدًا لِلَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

المتن

وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلِّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفْيَهُ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَفَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسُحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». متفقٌ عليه.

## الشرح

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ حَدِيْفَةِ: «وَالِيْهِ النَّشُوْرُ»، ذَكَرَ النَّشُوْرَ هُنَا فِيْ هَذَا الْمَوْضِعِ فِيْ غَايَةِ الْمُنَاسِبَةِ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَةَ مِنَ النَّوْمِ شَبِيْهَةٌ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْقِيَامُ مِنَ الْقُبُوْرِ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ يُسَمَّى نَشُوْرًا ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [٢١] ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿عَبَسَ: [٢٢]، فَالْقَوْمَةُ مِنَ الْمَوْتِ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ﴾ [المطففين: ٦]، تَسْمَى: نَشُوْرًا، وَالْيَقِظَةُ مِنَ النَّوْمِ شَبِيْهَةٌ بِالْبَعْثِ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي هُوَ نَشُوْرٌ، وَلَوْجِهَ الشَّبْهِ بَيْنَهُمَا، لَوْجِهَ الشَّبْهِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ وَالْيَقِظَةُ وَالنَّشُوْرُ قَالَ هُنَا: «وَالِيْهِ النَّشُوْرُ»، ﴿إِلَيْهِ﴾ أَي: اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، «النَّشُوْرُ» أَي: الْقِيَامُ.

وَلَا حَظَّ مَلَاْحِظَةٌ هُنَا مَفِيْدَةٌ، إِذَا قُوْمْتَ مِنْ نَوْمِكَ وَأَنْتَ تَقُوْلُ: «وَالِيْهِ النَّشُوْرُ» مُسْتَحْضِرًا هُنَا أَنْ قُوْمْتَكَ هَذِهِ شَبِيْهَةٌ بِقَوْمَةِ لَكَ قَادِمَةٌ عِنْدَمَا تَقُوْمُ مِنْ قَبْرِكَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ؛ فَيَجَازِيْكَ عَلَى أَعْمَالِكَ، مَاذَا يَفِيْدُكَ هَذَا؟ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ وَمُسْتَهْلُ يَوْمِكَ تَقُوْمُ حَامِدًا لِلَّهِ عَلَى أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ قَائِلًا: «وَالِيْهِ النَّشُوْرُ»، فَأَنْتَ فِي هَذَا الذِّكْرِ تَسْتَحْضِرُ نَشُوْرَكَ وَقِيَامَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَيَكُوْنُ هَذَا بَابًا لَكَ لِصَلَاحِ الْأَعْمَالِ وَزَكَائِهَا، حَيْثُ تَصْبِحُ مُتَذَكِّرًا أَنْكَ سَتُنَشِرُ وَتَبْعَثُ وَتَقُوْمُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ فَيَجَازِيْكَ الْحَسَنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمَسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا أَوْرَدَهُ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- حَدِيثَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيْهِمَا، فَقَرَأَ فِيْهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَيَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهَيَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

هَذِهِ سُنَّةٌ عَظِيْمَةٌ وَمُبَارَكَةٌ كَانَتْ نَبِيْنَا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَحَافِظُ عَلَيْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ كَمَا هُوَ مُنْصَوِّصٌ عَلَيْهِ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ هَذَا، كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ لَا يَدَعُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ، بَلْ جَاءَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَاطْبَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى فِي أَيَّامِهِ الْأَخِيْرَةِ عِنْدَمَا اشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، فَكَانَ وَهُوَ فِي شِدَّةِ مَرَضِهِ يَقْرَأُ وَيَنْفِثُ فِي يَدِهِ الشَّرِيْفَةَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، وَلِضَعْفِ بَدَنِهِ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ مَا كَانَ يَسْتَطِيْعُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- أَنْ يَحْرِكَ يَدَهُ عَلَى بَدَنِهِ مَسْحًا لِلْمَرَضِ الشَّدِيْدِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- تَأْخُذُ بِيَدِهِ وَتَمْرُّهَا هِيَ بِنَفْسِهَا، تَمْسِكُ بِيَدِهِ وَتَمْرُّهَا عَلَى بَدَنِهِ لِأَنَّهُ مَا يَسْتَطِيْعُ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- تَمْسِكُ بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةَ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأُ وَيَنْفِثُ فِيْهَا، ثُمَّ تَمْرُّهَا هِيَ -تَحْرِكُهَا- عَلَى مَا اسْتَطَاعَتْ مِنْ بَدَنِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَذَا فِيْهِ شِدَّةُ الْحَافِظَةِ عَلَى هَذَا فِي صِحَّتِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَفِي مَرَضِهِ فِي أَيَّامِهِ الْأَخِيْرَةِ مِنْ حَيَاتِهِ. وَهَذَا نَسْتَفِيْدُ مِنْهُ فَائِدَةٌ مَهْمَةٌ: وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مَعَ هَذَا النَّفْثِ وَالْمَسْحِ ضَرْوِيَّةٌ جَدًّا لِلْإِنْسَانِ، وَيَحْتَاجُ الْعَبْدُ إِلَيْهَا حَاجَةً ضَرْوِيَّةً أَنْ يُحْصِنَ نَفْسَهُ بِهَذَا التَّحْصِيْنِ الْمُبَارِكِ، وَمَا تَحْصِنُ مَتَّحِصِنٌ وَلَا اسْتِعَاذٌ مُسْتَعِيْدٌ بِمِثْلِ هَذَا التَّعَوُّذِ الْمُبَارَكِ الَّذِي جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي حَدِيثِ سَبَقِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: «لَمْ أَرْ مِثْلَهُنَّ» يَعْنِي: هَذِهِ التَّعَوُّذَاتُ «لَمْ أَرْ مِثْلَهُنَّ»، فَهِيَ تَعَوُّذَاتٌ عَظِيْمَةٌ وَتَحْصِيْنَاتٌ مُبَارَكَةٌ، يَقْرَأُ الْمُسْلِمُ هَذِهِ السُّوْرَةَ الثَّلَاثَ وَيَنْفِثُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهَيَا كُلَّ بَدَنِهِ أَوْ مَا اسْتَطَاعَ مِنْهُ، لَيْسَ مَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ، وَإِنَّمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ بَدَنِهِ مِمَّا أَقْبَلَ مِنْهُ وَأَدْبَرَ، تَحْصِيْنًا كَامِلًا لِجَمِيْعِ الْبَدَنِ.

وَقَدْ حَدَّثَنِي أَحَدُ الصَّلْحَاءِ مِمَّنْ هُوَ مُحَافِظٌ عَلَى هَذَا الذِّكْرِ كُلِّ لَيْلَةٍ، يَقُوْلُ: لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِيِ كُنْتُ نَائِمًا، يَقُوْلُ: فَأَحْسَسْتُ وَأَنَا فِي مَنَامِي بِوَحُوشٍ تَهْجُمُ عَلَيَّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ كَلِمَا أَرَادَتْ أَنْ تَأْتِيَنِي مِنْ جِهَةٍ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا فِي الطَّرِيْقِ مِنْ هُنَا، وَإِذَا جَاءَ

من طريق ثانية قال: مَا فِي مِنْ طَرِيقٍ مِنْ هُنَا، يَقُولُ: حَتَّى انْفَضُوا عَنِّي، فَقُلْتُ: هَذَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - ذَكَرَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -؛  
لأنه حصن حصين للمسلم وحرز متين، فلا يصل إليه الشيطان.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن زكريا - عليه السلام - قال لقومه: **آمَرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَثَلَ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ رَجُلٍ انْطَلَقَ خَلْفَهُ الْعَدُوُّ صِرَاعًا فَأَوَى إِلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ عَدُوُّهُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ،** هذا مثل الذاكر، كأنك إذا ذكرت الله -عزَّ وجلَّ- وحافظت على هذه الأذكار كأنك دخلت في حصن مغلق ما يستطيع عدو أن يدخل عليك في هذا الحصن، تُحفظ بحفظ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-. فالشاهد أن هذا التعوذ المبارك ضروري للإنسان ومهم، وينبغي أن يتأسى المسلم برسول الله ﷺ وأن يحافظ عليه كل ليلة، وأن يعوّد أهل بيته وولده على المحافظة عليه حتى يكتب للجميع الحفظ والوقاية والحماية بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، حتى إذا اشتد بالإنسان التعب واشتد به النصب يتذكر أن نبي الله -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لم يدع ذلك حتى في شدة تعبته -صلوات الله وسلامه عليه-.

قالت: «كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ» يعني: إذا دخل في الفراش وانضم إلى الفراش لينام وأصبح جسمه على فراشه، «كُلَّ لَيْلَةٍ»، وهذا فيه المداومة والمواظبة والاستمرار، «جَمَعَ كَفَيْهِ» يعني: ضم الكفين بعضهما إلى بعض، فلا تكون الكفان ممددة بهذه الطريقة ومفرقة أو مباعدة وإنما تجمع الكفان، بمعنى أن الكف اليماني تلتصق باليسرى، وأيضًا ما تُجعل الأصابع مفترقة، وإنما الجمع يقتضي أن الكفان تُضمّان والأصابع أيضًا تضم، أما التفرقة بين اليدين أو تفرقة الأصابع فهذا غير مناسب لآ في الدعاء، ولا أيضًا في هذا الموضوع، وإنما تُجمع الكفان ويضم بعضهما إلى بعض، ثم ينفث الإنسان، والنفث فوق النفخ ودون التفل، بمعنى: أنه ينفخ نفخًا فيه شيء يسير الريق، ليس تفلًا ولا بصقًا ولا أيضًا مجرد نفخ هواء، وإنما نفث، ينفث وهو هواء يدفعه من فيه معه شيء من رزاز الريق إن تيسر ذلك، قالت: «ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا» أي: في كفيه، ظاهر الحديث أن النفث قبل التلاوة، فمن العلماء من قال: أن الأمر على ظاهر الحديث، ومن العلماء من قال: أن النفث بعد التلاوة، أي: رجاء بركة التلاوة والآيات التي يتلوها الإنسان فيقرأ أولًا ثم ينفث، قال: «ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَفَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾» أي: يقرأ هذه السور الثلاث، السورة الأولى سورة الإخلاص التي أُخلصت لبيان صفة الرب وعظمته وجلاله وكماله وتنزهه -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عن النقائص، وأن يكون له كفؤ سبحانه، والمعوذتان فيهما التعوذ بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، ويقال لهذه السور الثلاث: المعوذات مع أن سورة الإخلاص لم ينص فيها على التعويذ، ولكن على وجه التغليب هذا من جهة، ولأن ذكر الله نفسه تعوذًا وتحصن بالله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، فذكره حصن حصين وحفظ للعبد، قال: «ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ»، «يَمْسَحُ بِهِمَا» أي: بيديه، «مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ» لم يقل: ما أقبل من جسده، وإنما قال: «مَا اسْتَطَاعَ» فيشمل قوله: «مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ» ما أقبل من جسده وما أدبر، فالشئ هنا في المسح؛ أن تمسح جسدك كاملاً ما استطعت منه، تمسح منه ما أقبل وما أدبر، «يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ» وهذا فيها شرف الرأس والوجه وفضيلته، ولهذا يقدم على بقية البدن، فلا تبدأ بالمسح من القدمين، وإنما تبدأ من الرأس وهذا فيه فضيلة الرأس وأهمية البدء به، والرأس هو الذي فيه أكثر الحواس: فيه العين، وفيه السمع، وفيه اللسان، وفيه البصر... إلى آخره.

قال: «يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ» يعني: بيده يبدأ بالرأس (الوجه) ما أقبل من جسده، ثم بعد ذلك يمسح ما أدبر منه لعموم قوله: «مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ»، لكن هنا قوله: «يَبْدَأُ»، فالبدء بالوجه، ثم الرأس، ثم ما أقبل من

الجسد، ثم تمسح بعد ذلك ما أدبر، «يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أي: أنك تقرأ تنفث وتمسح هذه واحدة، ثم تقرأ وتنفث وتمسح هذه الثانية، ثم تقرأ وتنفث وتمسح هذه الثالثة، تفعل ذلك ثلاث مرات.

#### المتن

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ يَخْثُو مِنَ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ قَالَ: لَأُرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَكَانُوا أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ، فَقَالَ: إِذَا أُوْتِيتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ بِهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظًا وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ: صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ». خرَّجه البخاري.

#### الشرح

فيما يتعلق بحديث عائشة، في قوله: «تُمْ يَمْسَحُ بِهِمَا» بعضهم استدل بقوله: «تُمْ يَمْسَحُ بِهِمَا» استدل به على مشروعية مسح الوجه أو البدن باليدين بعد الدعاء، بعضهم استدل بهذا الحديث على مشروعية مسح الوجه واليدين بعد الدعاء مطلقاً، يعني: إذا دَعَا يمسح بيديه وجهه عقب الدعاء أو ما أقبل من بدنه، فبعضهم يستدل بهذا الحديث، والحديث لا دلالة فيه على ذلك، وإنما هذا المسح مختصُّ بهذا الموضع الذي هو التعوذ، وقراءة هذه السور الثلاث، وينفث على إثر هذه القراءة ويمسح، فهذا المسح خاصُّ بهذا الموضع، فتعميمه في الدعاء هذا أمر غير صحيح، والحديث لا يدل على ذلك لخصوصية هذا الأمر بهذا العمل الذي كان يفعله النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في منامه، وأما مسح الوجه باليدين بعد الدعاء، فهذا كما قال المحققون من أهل العلم: لم تثبت به السنة صحيحة عن النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- مؤلف هذا الكتاب الذي بين أيدينا، يقول -رَحِمَهُ اللَّهُ-: مسح الوجه باليدين بعد الدعاء ورد فيه حديث أو حديثان لا تقوم بهما حجة، أي: غير صالحين للاحتجاج، فمسح الوجه باليدين عقب الدعاء هذا أمرٌ لم يثبت به سنة صحيحة عن النَّبِيِّ الكَرِيمِ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

ثم أورد المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- هنا حديث أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- في قصته مع الرجل الذي كان يخثو من الصدقة، ثم تبين في تمام الأمر أنه شيطان، وكان أبو هريرة يُكَلِّمُهُ ثلاث ليالٍ وما شعر أنه شيطان حتى أخبره النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَنَّهُ أَتَاهُ آتٍ يَخْثُو مِنَ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَكَلَّ إِلَيْهِ حِرَاسَةَ الصَّدَقَةِ يَحْرُسُهَا بِاللَّيْلِ، يَظَلُّ سَاهِرًا عِنْدَ الصَّدَقَةِ يَحْرُسُهَا حَتَّى لَا يَأْتِي أَحَدٌ يَأْخُذُ مِنْهَا، فَكَانَ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ -مَهْمَةُ الْحِرَاسَةِ-. فَإِذَا بَاتَ جَاءَ عَلَى تَحْفِيٍّ وَحْتِيٍّ، يَعْني: ملء كفيه من الصدقة حنطة كانت أو دقيقاً أو نحو ذلك، ملء يديه منها، وكان قد جعله النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عليها لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، يَعْني: يحرسها، جعل أبو هريرة حارساً لها لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، وَكَانَ جَعَلَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْهَا لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ، لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ؛ هَذَا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: أَتَى آتٍ، وَالْمَصْنَفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- اخْتَصَرَ الْحَدِيثَ هُنَا، فَالْحَدِيثُ سِيَاقُهُ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا لِأَنَّهُ أَتَاهُ الْآتِي وَحْتِيٍّ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى فَأَمْسَكَ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِيَدِهِ، وَقَالَ: لَأَخْذَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَكَى فَقَرَأَ وَعِيَالًا، قَالَ: أَنَا عِنْدِي عِيَالٌ، وَأَنَا مَحْتَاكُ، فَحَمَمَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ فَخَلَّى سَبِيلَهُ، وَقَالَ: لَا تَعُودُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ لَقِيَ أَبُو هُرَيْرَةَ النَّبِيَّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْتِدَاءً: مَاذَا فَعَلَ أُسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟، قَالَ: شَكَى عِيَالًا وَحَاجَةً، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَعُودُ فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، فَقَالَ: «كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَجَلَسْتُ أَرْصِدُهُ لَعَلَّمِي أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يَعْني متيقن أنه سيعود لأنَّ النَّبِيَّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ: «كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» يَعْني: كَذَبَكَ

عندما قال: أنه لن يعود وهو سيعود، فجلس أبو هريرة يرصده وهو متأكد أنه سيأتي، وهذا في آية من آيات نبوة النبي الكريم - عليه الصلاة والسلام-، ففعلاً جاءه وأمسكه في الليلة الثانية، وقال: لأخذنك إلى رسول الله ﷺ فشكى كالليلة الأولى حاجة وفقرًا وغيلاً وقال: إنه لن يعود، فخلّى أبو هريرة سبيله، رحمه وخلّى سبيله، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما أصبح: «مَادَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قال: شكى حاجة وغيلاً وقال: إنه لا يعود فخلّيت سبيله، فقال: «كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» فرصده أبو هريرة لليلة الثالثة.

المصنف -رحمته الله- اختصر هذا، جاء بالحديث مختصراً، قال: أَنَّهُ آتَاهُ آتٍ يَخْتُو مِنَ الصَّدَقَةِ، وَكَانَ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا أَي: على الصدقة. قال: لَيْلَةٌ بَعْدَ لَيْلَةٍ يَعْنِي: الآتي الذي أتى ليلة بعد ليلة، ليلة ثم ليلة، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ قَالَ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعْنِي أَعَلِمْتُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَكَانُوا -أي: الصحابة- أحرص شيء على الخير، فَقَالَ: أَي: هذا الآتي، إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتُمَهَا» يعني: إلى آخر الآية، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، هكذا قال له.

بقية الحديث أن أبا هريرة لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- وسأله قال: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟»، قال: إنه قال: دَعْنِي أَعَلِمْتُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ حَتَّى تَخْتُمَهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «صَدَقَكَ»، أي: في هذه، أي: قراءة آية الكرسي كل ليلة، وأنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، «صَدَقَكَ»، أي: في هذه، «وَهُوَ كَذُوبٌ»، أي: شأنه الكذب، لكن هذه صدقك فيها، ثم قال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: «أَتَعَلَّمُ مِنْ نَخَاطِبٍ مُنْذُ ثَلَاثٍ؟» يعني: منذ ثلاث ليالٍ، أتدري من تُخاطب؟ قَالَ: لَا، قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ»، فكان ثلاث ليالٍ يخاطبه ويتحدث معه ولم يعرف أنه من الجن، كان يظنه من الإنس لأنه جاء على صورة إنسي فقير مُحتاج أو أبو عيال فجاء على هيئته، فلم يميزه أبو هريرة، وهذا دليل على أن الشياطين أعطاهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قدرة على التشكل، ممكن يكون على صورة إنسان، على صورة حيّة، أو على صورة دابة، أو نحو ذلك، أعطاهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قدرة على ذلك. ولهذا جاء في حديث آخر قريب من هذا الحديث، حديث أبي بن كعب كان يقول: كان لي جُرٌّ من تمر، وعاء خاص بالتمر، يقول: فلاحظت أنه ينقص فرصدته، أخذت أحرس هذا الجر، فإذا بدابة شبهة الغلام المحتلم أتت إلى هذا الجر، وبدأ يأخذ من التمر، يقول: فأمسكت بيده، فإذا يده يد كلب، وشعره شعر كلب، وكان ممسكاً بيده، فقال له أبي: أجبني أنت أم إنسي؟، وهنا أيضاً فيه ثبات قلبه وعدم خوفه، فقال له: أجبني أنت أم إنسي؟، قال: أنا جني، وزاده أمراً آخر قال: جني، ولقد علمت الجن أنه ليس فيهم أشد مني، يعني كأنه معروف لديهم أنه من أشداهم وأقوياءهم، قال: أنا جني ولقد علمت الجن أنه ليس أشد عليهم مني، وكل هذا باقٍ هو على ثباته -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، فقلت: ما الذي يُنجينا منكم؟ قال: آية الكرسي إذا قرأتها إذا أصبحت أُجرت منا حتى تُمسي، وإذا قرأتها إذا أمسيت أُجرت منا حتى تُصبح، يقول أبي: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال لي: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ». وهو حديث حسن، وفيه دلالة على أن آية الكرسي يُشرع قراءتها في جملة في أذكار الصباح والمساء، تقرأها في أذكار الصباح وتقرأها في أذكار المساء، والثمرة التي تُحصلها أنك تُجار من الشياطين بقراءتك لها حتى تُمسي، وتُجار منهم حتى تُصبح، وإذا قرأتها عند النوم حُفظت منهم فلا يقربك شيطان حتى تُصبح، فهذه ثلاثة مواضع يُشرع فيها قراءة آية الكرسي: عند النوم، وفي أذكار الصباح، وفي أذكار المساء.

وأيضاً ثمة خمسة مواضع يُشرع فيها قراءة آية الكرسي وهي: أدبار الصلوات المكتوبة، لحديث أبي أمامة الباهلي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ».

فهذه ثمانية مواضع يشرع فيها قراءة آية الكرسي في اليوم والليلة: عند النوم، وفي أذكار الصباح، وفي أذكار المساء، وأدبار الصلوات الخمس المكتوبة.

قال: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَهَا بِعَيْنِي: حتى تصل إلى خاتمتها، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَفْرُبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ بِعَيْنِي: تكون في حفظ الشيطان فلا يقربك، ولا تزال محفوظاً بحفظ الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إلى أن تُصْبِحَ، فهذا الأمر يُشرع أن يُفعل، يعني: قراءة آية الكرسي عندما يأوي المسلم إلى فراشه يشرع له أن يقرأها لأنها سنة ثبتت بإقرار النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، لولا قول النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لأبي هريرة: «صَدَقَكَ» مَقْرَئاً لِهَذَا الْأَمْرِ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ سُنَّةً، فالسنة تعرف بقوله -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أو فعله أو تقريره، فهنا أقر النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هذا الأمر، ولهذا يُقال: من السنة قراءة آية الكرسي كل ليلة إذا أوى المرء إلى فراشه، ومن قرأها لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يُصْبِحَ.

وفي الحديث دلالة على عظم شأن آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وقوة أثرها في طرد الشياطين وإبعادهم من المكان، ولا يكفي فيها القراءة المجردة، بل لا بُدَّ أن يقرأها العبد بصدق، ولهذا مصنف هذا الكتاب في مواضع عديدة من كتبه يقول عن آية الكرسي، يقول: إِذَا قُرِئَتْ بِصِدْقٍ أَبْطَلَتْ الْأَحْوَالَ الشَّيْطَانِيَّةَ، أما أن يقرأها الإنسان بغفلة أو يقرأها بإعراض، أو يقرأها بدون استشعارٍ للتوحيد الذي دلَّت عليه فهذا ضعيف الأثر إن لم يكن عديم الأثر، فلا بد أن تُقرأ بصدق، ف ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَمَا فِيهَا مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ تَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ، ولا تُبْقِيهِمْ فِي الْمَكَانِ، ولا يستطيعون قربان الإنسان الذي قرأها بصدقٍ، وتحقيقٍ لما دلَّت عليه من التوحيد والإخلاص لله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-. قوله: «وَهُوَ كَذُوبٌ» هذا فيه فائدة أن هذا دأب الشياطين، وأن هذه صفتهم، وهذا فيه فائدة أن التعامل مع الشياطين لا يجوز لأنَّ هذا دأبهم، ولا يأمن من يتعامل معهم أن يمكروا به، حتى في الأمور التي يقول عنها بعض الناس: مصالح نافعة أو أمور مفيدة أو نحو ذلك لا يجوز التعامل معهم لأنهم أهل كذب وأهل مكر وأهل كيد، فالمتعامل معهم على دينه خطر من تعامله معهم، وقد يحفرون له حفراً، ويوقعونه في مهالك يتعاملهم معهم.

وقد حدَّثني أحد الأشخاص في وقتٍ ليس ببعيد: أن آتٍ يأتيه في منامه بآياتٍ قرآنية، ويقول: تكرر علي هذه الآيات ومن خلالها يعني تتحقق لي مصالح، أو يستشكل علي أمر فتأتيني الآية في المنام، تأتيني آية في منامي يذكر لي آيةً، يقول: فكنت أحدث بعض الناس بذلك، يقول: ثم تطور الأمر فبدأ يعطيني أذكاراً، قلت له: اذكر لي شيئاً منها، فذكر لي بعضها قال لي: ذكر لي ذكراً لا حاجة إلى ذكره، قال لي: هذا الذكر تستطيع أن تفتت به الجبال، وتستطيع أن تفعل به كذا، قلت: كان يحفر لك بالآيات القرآنية حتى أوقعك في هذه الحفرة التي هي إخراجك إلى هذه الأذكار الباطلة والدعوات الضالة، ولهذا بعض الناس يُلبَس عليه الشيطان بلبس الحق بالباطل، يمزج الآية بالضلال فيقع في الانحراف من حيث لا يشعر.

ولهذا لاحظ أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، هل تقبل آية الكرسي مع معرفته بشأنها ومكانتها، هل تقبلها منه ابتداءً؟ أبي ابن كعب هل تقبل منه قراءة آية الكرسي في الصباح والمساء ابتداءً؟ أم أنه لم يتقبلها إلا بعد عرضها على السنة؟ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وعرض عليه الأمر، فلما أقرَّه تقبَّل الأمر لكونه أقرَّه النبي -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

خذ من هنا فائدة: لو قدر لإنسان أنه أتاه آتٍ، وقال له: كل يوم اقرأ مثلاً آية كذا فإنها تقيك من كذا، يأخذه مأخذ التسليم مثل هذا الأمر أم ماذا عليه أن يفعل؟ مثل ما كان الصحابة، الصحابة كانوا يذهبون إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- فيردون إليه، ففي حياته الرد إليه هو، وبعد مماته الرد إلى ماذا؟ إلى السنة، فيعرض الأمر إلى السنة، إذا أتى الإنسان مثل هذه الأمور يذهب إلى العلماء يقول: أتاني آتٍ في المنام، وقال لي: أفعل كذا، هل هذا عليه دليل من السنة أو لا؟ إذا ثبت الدليل عمل به، وإن لم يثبت الدليل لم يلتفت إليه لأنَّ العبرة بالدليل ولا يؤخذ الدين من مثل هذه الأمور، المنامات والهاثفات وأمثال هذه الأشياء كلها ما يجوز أن يُبنى عليها دين وأن يقام عليها شرع، الدين قال الله، قال رسوله ﷺ، ولهذا نلاحظ أبو هريرة -رضي الله عنه- لما قال له: إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ حَتَّى تَخْتِمَهَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ، وكانوا أحرص الناس على الخير، لم يأخذه مأخذ التسليم، ما قال: هو شيطان ويعرف ما الذي يؤثر في الشياطين من الآيات القرآنية، وبحكم معرفته أنا أخذ قوله، ما قال هذا الكلام، انتظر حتى لقي النبي -عليه الصلاة والسلام- وعرض عليه الأمر، ولهذا لا يجوز أن يؤخذ من الهاثفات ومن المنامات ونحو هذه، لا يجوز أن يؤخذ منها أذكار أو دعوات أو نحو هذه الأمور، بل هذا عين الضياع وأساس الوقوع في الضلال والباطل.

### المتن

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفق عليه.

وَقَالَ عَلِيُّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَعْقِلُ، يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

### الشرح

ثم أورد المصنف -رحمته الله- حديث ابن مسعود الأنصاري البدري -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» أي: قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخر السورة، الآيتان اللتان ختمت بهما سورة البقرة، وهاتان الآيتان لهما شأن عظيم ومكانة عظيمة، وقد جاءت نصوص متكاثرة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في فضل هاتين الآيتين، وأنه أعطيهما -عليه الصلاة والسلام- من كنز تحت العرش، وجاءه ملك يبشر بهاتين الآيتين مع الفاتحة، يقول ابن عباس: بينما رسول الله ﷺ قاعدٌ وجبريل عنده، إذ سمع نقيراً من فوق يعني: من جهة السماء، فقال جبريل: هذا باب من السماء فُتِحَ اليوم لم يُفتح قط قبل اليوم، ثم قال جبريل: نزل منه ملك نزل اليوم لم ينزل قط قبل اليوم، فجاء هذا الملك إلى النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقال: أبشر يا محمد بنورين أتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، وإنك لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته. الشاهد أن خواتيم سورة البقرة ورد فيهما نصوص عديدة على فضل ما خُتمت به سورة البقرة، وجاء عنه -عليه الصلاة والسلام- ترغيب المسلم كل ليلة أن يقرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» ومعنى قوله: «كَفَتَاهُ» أي: من كل شر ومن كل أذى، ففيهما الحفظ والوقاية للعبد من الشرور والمؤذيات والأضرار، فيحفظ بحفظ الله -تبارك وتعالى- . أما قول من قال: «كَفَتَاهُ» أي: عن قيام الليل، أو «كَفَتَاهُ» عن بقية الأذكار، فهذا قول ضعيف، والصحيح أن المراد «كَفَتَاهُ» أي: من كل شر، ومن كل أذى، ومن كل ضرر، فالذي يقرأ هاتين الآيتين يكون محفوظاً مكفياً، يقيه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ويحفظه من المؤذيات ومن الشرور.

والآية الأولى من هاتين الآيتين فيها الإيمان بأركانه ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والآية الثانية فيها دعوات عظيمة مستجابة، جاء في صحيح مسلم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال: «قد فعلت»، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إلى آخر الدعوات في هذه الآية، وفي ذلك كله يقول رب العالمين: «قد فعلت»، فهي دعوات مستجابة، فيستحب للمسلم أن يقرأ هاتين الآيتين كل ليلة، ومن قرأها حاز هذه الفضيلة أنه يكفى ويوقى ويحفظ بإذن الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

قال: وَقَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَغْفِلُ، يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ»، هذا جاء عن علي بالفاظ من ضمنها أنه قال: مَا أَرَى أَحَدًا بَلَغَهُ الْإِسْلَامُ يَغْفِلُ، يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وجاء عنه بالفاظ. وهذا الأثر عن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يدل على شدة عناية الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- بقراءة آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة قبل أن ينام، قراءتها قبل النوم، وأنهم على رعاية وعناية واهتمام بالغ بقراءة هذه الآيات المباركة، حتى قال علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: مَا أَرَى أَحَدًا يَغْفِلُ بَلَغَهُ الْإِسْلَامُ، يَنَامُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَهَذَا يدل على أهمية القراءة ومكانتها عند الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وشدة عنايتهم بها.

وفيما يتعلق بآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة كان لي بعض الجلسات في الكلام على معانيها، آية الكرسي في بعض المجالس، وأيضاً خواتيم سورة البقرة في بعض المجالس، وهي موجودة في أشرطة للراغب للإستفادة منها. نكتفي بهذا القدر، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.